

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى: ٤٣] وفي الباب: الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفُهُمُ الْمَلَّةُ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ) رواه مسلم.

=====

الحديث تقدم شرحه : ٣١٨ .

(إِنَّ لِي قَرَابَةً) أي: ذوي قرابة.

(صِلُهُمْ) أي: أحسن إليهم.

(وَيَقْطَعُونِي) أي: يقطعوا قرابتي.

(وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ) بإلحاق الضرر.

(وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ) أي: يعاملونني بالجهل، والجهل هنا: القبيح من القول؛ أي: يقولون قول الجهال، من السب، والتقييح.

(تُسْفُهُمْ) بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء، تطعمهم .

(الْمَلَّةُ) بفتح الميم، وتشديد اللام وهو الرَّمَادُ الحَارُّ .

١ - الحديث دليل فضل الإحسان إلى الأقارب ولو أساءوا، وأنه يصير كأنه يسفهم المل.

قال النووي: أَيُّ كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشْبِيهٌ لِمَا يُلْحَقُهُمْ مِنَ الإِثْمِ بِمَا يُلْحَقُ أَكِلَ الرَّمَادِ الحَارِّ مِنَ الأَلَمِ، وَلَا شَيْءَ عَلَى هَذَا المُحْسِنِ إِلَيْهِمْ، لَكِنْ يَنَالُهُمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ يَنْقُصِيهِمْ فِي حَقِّهِ، وَإِذْخَالُهُمُ الأَذَى عَلَيْهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وقال القرطبي: ومعنى ذلك: أن إحسانك إليهم مع إساءتهم لك، ينتزل في قلوبهم منزلة النار المحرقة؛ لِمَا يَجِدُونَ مِنَ أَلَمِ الحَزِي، والفضيحة، والعار الناشئ في قلب من قابل الإحسان بالإساءة.

وقال القاضي عياض : يريد: أنك بإحسانك إليهم تُخْزِيهِمْ وتحقرهم في أنفسهم، وتُنْكِ قلوبهم برؤيتهم حُسن فعلك معهم، وقُبْح مكافأتهم، فهم من الحزى عند أنفسهم عند ذلك كمن يُرْمَى في وجهه التراب والرماد الحمى، ونكاية القلوب كمن سُقِيَ الجمر أو الرماد الحمى، أو أن ذلك الذي يأكلونه مِنْ رِفْدِكَ وإحسانك كمن يأكل ذلك، ويحرق به أحشاءه.

وقال ابن هبيرة : ... فيعني ﷺ أنك لو كنت وَصَلْتَ الواصلين منهم لكننت أحسننت، فكيف إذا وَصَلْتَ القاطعين؟! فإنك سبقت سبق البعيد، حتى أَسْفَقْتَهُمُ الْمَلَّةَ، يعني: أنك على فضلك، فإنَّ سُوءَ قَطِيعَتِهِمْ يكون ما تُسْفُهُمْ إِيَّاه، تنزل عن درجة التراب إلى المَلَّةِ، وهو الرماد الذي لم يبق فيه منفعة إلا أنه حار يُنَالُ بجزء من العذاب.

وقال الحب الطبري -رحمه الله-: ... وإِنَّمَا معناه -والله أعلم-: أَنَّ عَطَاءَكَ لَهُمْ بعد قَطِيعَتِهِمْ، وإحسانك بعد إساءتهم، وجَلَمَكَ بعد جهلهم، يعقُب حرارة الأسف في قلوبهم على ما سلف منهم، وإنْ غلبهم سوء طَبْعِهِمْ إلى العود إلى سوء فعلهم.

٢ - الحديث دليل على فضل من يصل أرحامه، ويُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وهم يقطعونه، ويجهلون عليه؛ فإن له بذلك الأجر العظيم، والعون والنصر من الرؤوف الرحيم.

قال الله رحمه الله (فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ).

وقال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ).

٣ - الحث على صلة الأرحام.

٤ - معونة الله لمن يصبر ويعفو ويصفح.

٥ - ذم من يقابل الإساءة بالإحسان.

٦ - مقابلة الإساءة بالإحسان مظنة رجوع المسيء إلى الحق، كما قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

٧ - ما عاقبت من عصا الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.